الحديث الثامن عشر

حجبت النار بالشهوات

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ» متَّفقٌ عليه[1]. وفي رواية مسلمٍ: «حُفَّتِ النَّار...» بدل: (حُجِبَت).

وقد رواه عن النَّبيِّ ﷺ أبو هريرة، رضي الله عنه، كما ذكرنا، وأنسٌ ـ رضي الله عنه ـ أيضاً، ورُوي موقوفاً على ابن مسعودٍ، رضي الله عنه.

وأخرجه أصحاب المُدوَّنات، نذكر منهم: البخاريَّ، ومسلماً، وأحمدَ في المسند، وفي كتاب الزُّهد، والتِّرمذيَّ، والدَّارميَّ، وأبا يعلىٰ، وعبدَ بن حميد، كما ذكر ذلك السُّيوطيُّ في الجامع الصَّغير، والجامع الكبير[2].

أودُّ أن أقف وقفةً سريعةً مع المفردات، والصُّور الواردة في هذا الحديث الموجز الجميل قبل أن أبدأ بتأمُّل معانيه، ودراسته دراسةً مُتأنِّيةً.

للحديث ـ كما سبق أن ذكرنا ـ روايتان: إحداهما: (حُجِبَت) والأخرى: (حُفَّت) وهما بمعنىً متقاربٍ، وكلٌّ منهما صورةٌ بيانيَّةٌ معبِّرة جميلةٌ.

---

(١) البخاريُّ برقم ٦٤٨٦، ومسلمٌ برقم ٢٨٢٢.

(٢) انظر «الجامع الكبير» ١/ ٥٠٢، والجامع الصَّغير، وانظر المسند ٢/ ٢٢٢ و٢٧٣ و٣/ ١٥٣ و٢٥٤ والدَّارميُّ ٢/ ٣٣٩، والتِّرمذيُّ برقم ٢٥٥٩، ومسند أبي يعلىٰ ٦/ ٣٢٧٥، وشرح السُّنَّة ٤١١٤، وفيض القدير للمناويِّ ٣/ ٣٧٣ و٣٨٩.

حُجِبَتْ: سُتِرَتْ. وحُجِبَتِ النَّار بالشَّهوات ؛ أي: جُعِلَتِ الشَّهواتُ حِجاباً بين الشَّخص ، وبين النَّار. وحُجِبَتِ الجنَّة بالمكاره ؛ أي: حجبت الجنَّة بما أُمِرَ بِهِ المُكلَّف مِنْ مجاهدة النَّفس فعلاً للواجبات ، والمندوبات ، وتركاً للمحرَّمات ، والمكروهات ، كالإتيان بالعبادة على وجهها ، والمحافظة عليها ، وأداء السُّنَن الرَّاتبة ، وغيرها ، وكتجنُّب المنهيّ عنه قولاً ، وفعلاً.

وهكذا فالجنَّة ، والنَّار ـ كما تدلُّ على ذلك الصُّورة البيانيَّة ـ محجوبتان ، فَمَنْ هتك الحجاب اقتحمها ودخلها[1] ، وَمَنْ تعاطىٰ الشُّبهات المُحَرَّمة وصل إلى النَّار ، وَمَنْ قام بأداء الواجبات وامتنع عن المُحرَّمات ، وعانى في تحقيق ذلك ما عانىٰ من المشقَّات المعبَّر عنها بالمكاره دخل الجنَّة.

حُفَّت: قال القرطبيُّ[2]: [أصل الحفِّ الدَّائر بالشيء المُحيط به ، الَّذي لا يتوصَّل إليه إلا بعد أن يُتخطَّى غيرُه. فمثَّل المُصطفىٰ ﷺ المكاره ، والشَّهوات بذلك.

فالجنَّة لا تُنَالُ إلا بقطع مفاوز المكاره ، والصَّبر عليها. والنَّار لا يُنجىٰ منها إلا بفطم النَّفس عن مطلوباتها الَّتي حرَّمها الشَّرع ، أو كرهها].

إذاً فقد جعلت الشَّهوات مُحْدِقَةً بالنَّار ، مطيفةً بأحفَّتها ، لا يمكن لأحدٍ أن يقع في الشَّهوات ، ثمَّ ينجو مِنْ ولوج النَّار إلا أن يشاء الله ، أو أن يتوبَ توبةً نصوحاً.

وكذلك فقد جُعلت المكاره من الواجبات ، والمندوبات محيطةً بالجنَّة من كلِّ جهاتها ، ونواحيها ، فلا يستطيع امرؤٌ أن يدخلها إلا بتخطِّيها ، واحتمال تلك المكاره من الجُهْد في الطَّاعة والصَّبر عن الشَّهوة.

المكاره: قال المناوي: [المكاره: جمع مكرهة ، وهي ما يكرهه المرء ،

---

(١) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٧٣.

(٢) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٨٩.

ويشقُّ عليه من القيام بحقوق العبادة على وجهها ، كإسباغ الطُّهر في الشِّتاء وتجرُّع الصَّبر على المصائب][1].

وقال أيضاً: [وأُطلق عليها المكاره؛ لمشقَّتها؛ وصعوبتها على العامل][2].

وجاء في «تاج العروس»: [ومكاره الدَّهر هي نوازله ، وشدائده ؛ جمع مكروه. . وفي الحديث: إسباغ الوضوء على المكاره ، وهو جمع مكره لما يكرهه الإنسان ، ويشقُّ عليه][3].

وهي هنا ما أُمر به المكلَّف مِنْ مجاهدة النَّفس فعلاً ، وتركاً ، كالإتيان بالعبادات ، والمحافظة عليها ، واجتناب المنهيَّات قولاً ، وفعلاً ، والصَّبر على المصائب بأنواعها ، فكلَّما صبر على واحدةٍ قطع حجاباً من حجب الجنَّة ، وكلَّما أدَّىٰ واجباً يشقُّ على النَّفس أداؤه ؛ قطع حجاباً آخر من حُجُب الجنَّة. . . ولا يزال يقطع حُجُبها حتَّى لا يبقىٰ بينه وبينها إلا مفارقة روحه بدنَه ، فيقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

الشَّهوات: جمع شهوة ، وهي حركة النَّفس ؛ طلباً لما يلائمها ، أو يَلذُّ لها ، ويراد بها هنا: [ما يُسْتَلَذُّ من أمور الدُّنيا ممَّا منع منه الشَّرع أصالةً ، أو لاستلزامه ترك مأمورٍ ، وأُلحقت بها الشُّبهات ، والإكثارُ من المباحات خوفَ الوقوع في محرَّمٍ][2].

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذمِّ الشَّهوات ؛ وإن مالت إليها النُّفوس ، والحثِّ على الطَّاعات ؛ وإن كرهتها ، وشقَّت عليها[4].

الإسلام رسالةٌ عظيمةٌ ، فيها الالتزام بالخُلُق الإسلاميِّ الزَّكيِّ ، والدَّعوة إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، والبُعد عن الشرِّ ، والإتيان بالخير

---

(١) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٨٩.

(٢) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٧٣.

(٣) مادَّة : كره.

(٤) هذا من كلام ابن حجر نقله المناوي ٣/ ٣٨٩.

والمعروف ، وبذل المال ، وعون الضَّعيف ، والجهاد بالنَّفس ، والمال ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، والبُعد عن المحارم.

إنَّ الإسلام سموٌّ إلى المستوىٰ الأفضل ، وترفُّعٌ عن الدَّنايا.

وإذا كان ذلك كذلك ؛ فالأخذ بتعاليمه ليس أمراً سهلاً ، ولا هيِّناً.

إنَّ هذه الرِّسالة العظيمة لا تطيقها النُّفوس الشِّرِّيرة الصَّغيرة ، الَّتي تضعف أمام المُغريات ، والمخاوف ، فتقع في عددٍ من المُخالفات الَّتي تنتهي بأصحابها إلى النَّار ، والعياذ بالله.

إنَّ الارتفاع في كلِّ أمر صعبٌ يحتاج إلى قوَّةٍ ، وإرادةٍ ، وتصميمٍ.. أمَّا الانحدار ؛ فأمره يسيرٌ هيِّنٌ. إنَّ الارتقاء إلى قمَّة الجبل صعبٌ ، لا يقوىٰ عليه الضُّعفاء ، والمرضىٰ ، أمَّا النُّزول إلى السَّفح ، والوادي ، فأمرٌ سهلٌ لا يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ. ولكنَّ الإنسان الَّذي يعلم: أنَّ في قمَّة الجبل ما يتمنَّاه من العيش الرَّغيد ، والمأوىٰ المُريح ، والمسكن المنيع ، والمنظر الجميل ، يهونُ عليه ما يلاقيه في صعوده ؛ لما يتوقَّع من الأمن ، والرَّاحة ، والمُتعة ، والسَّعادة.

وأخبار التَّاريخ ، وأحداث الواقع تشهد على صدق هذه الحقيقة بالنِّسبة إلى الأفراد ، والشُّعوب ، فالأمَّة الَّتي تريد أن ترقى إلى المجد لا تبلغ ذلك إلا بالجِدِّ الدَّؤوب ، والعمل الصَّادق ، والبذل ، والفداء ، وكذلك الفرد. قال أبو تمَّام:

لَا تَحْسِبِ المَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُه ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا[1]

وقال أبو تمام أيضاً:

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَىٰ فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَىٰ جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ[2]

أمَّا الأمَّة الَّتي تضعف عن الجدِّ ، والعمل ، والبذل ، وتخلُدُ إلى الشَّهوات والملذَّات ؛ فسرعان ما تهوي إلى حضيض الخُمول ، والذُّلِّ.

---

(١) ديوان أبي تمَّام ٣/ ٤٢.

(٢) ديوان أبي تمَّام ١/ ٧٣.

ومن هنا كانت كلُّ دعوةٍ تريد لنفسها التَّمكين في الأرض ، والسِّيادة في الدُّنيا تُلزِم أتباعها بقيودٍ ، وتفرض عليهم لوناً خاصّاً من الحياة الجادَّة ، وتندبُهم إلى الجهاد ، والفداء ، وتحمِلُهم على أنْ يتركُوا كثيراً من الملذَّات ، والشَّهواتِ المحرَّمات ، أو المباحات الَّتي يضرُّ تعاطيها الأمَّة؛ كالرُّكونِ إلى الرَّاحة ، والقعودِ عن القتال يوم النَّفير وما إلى ذلك. . . وقد تطلب منهم أن يقدِّموا أرواحهم ، وأن ينزلوا عن شيءٍ من أموالهم ، واستقرارِهم.

وهذا امتحانٌ لإيمان المؤمن ، وابتلاءٌ له ، ليتبيَّن صدقُه في دعواه ، أو كذبُه فيها. هل يستطيع أن يتغلَّب على سُلطان تلك المُغريات ، والمَخاوف؟ ويمضي في تحمُّل عناء التَّكاليف ، وأدائها؟ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

وهل يقوى على أن يبقى محافظاً على المُستوىٰ الكريم ؛ الَّذي يريده الإسلام له؟

إنَّ الاستقامة على طريق الحقِّ ، والاستمرار في سلوكه أصعبُ من الإتيان به مرَّةً أو مرَّتين ، من أجل ذلك أراد الله لأنبيائه ، وأوليائه أن يكون طريقُهم طريق الجهاد ، وبذل الأموال ، والأنفس. قال الإمام أبو حامدٍ الغزاليُّ:

[بيَّن بهذا الحديث: أنَّ طريق الجنَّة وعرٌ ، وسبيلٌ صعبٌ ، كثيرُ العقبات ، شديدُ المشقَّات ، بعيدُ المسافات ، عظيمُ الآفات ، كثيرُ العوائق والموانع ، خفيُّ المهالك والقواطع ، غزيرُ الأعداء والقطَّاع ، عزيز الأتباع والأشياع][1] قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وورد في معنى الحديث الَّذي ندرسه حديثٌ صحيحٌ آخر[2] أخرجه

---

(١) نقل ذلك المناويُّ في «فيض القدير» ٣/ ٣٨٩.

(٢) التِّرمذيُّ برقم ٢٥٦٠ ، وأبو داود برقم ٤٧٤٤ ، والنَّسائيُّ ٧/ ٣ ، والحاكم ١/ ٢٧ ، وانظر صحيح النَّسائيِّ للألبانيِّ برقم ٣٥٢٣ ، وصحيح التِّرمذيِّ للألبانيِّ برقم ٢٠٧٥.

التِّرمذيُّ ، وأبو داود ، والنَّسائيُّ ، والحاكم عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال: «لمَّا خَلَقَ اللهُ الجنَّة والنَّار ؛ أرسل جبريلَ إلى الجنَّة فقال: انظر إليها ، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. قال: فجاءها ، فنظر إليها ، وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها ، قال: فرجع إليه ، فقال:

ـ فوعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ إلاَّ دخلها.

فأمر بها، فحفَّت بالمكاره. فقال: ارجع إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها ، فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره. فرجع إليه ، فقال:

ـ وعزَّتك لقد خفتُ ألا يدخلَها أحدٌ.

قال: اذهب إلى النَّار فانظر إليها ، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها ، فإذا هي يركبُ بعضُها بعضاً ، فرجع إليه ، فقال:

ـ وعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ ، فيدخلها.

فأمر بها فحفَّت بالشَّهوات ، فقال: ارجع إليها. فرجع إليها ، فقال:

ـ وعزَّتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحدٌ إلاَّ دخلها».

لقد وقف الإسلام من الشَّهوات الإنسانيَّة الموقف الوسط الرَّائع:

لم يُصادمْهَا ، ولم يتجاهلْهَا ، ولم يُطْلِقْهَا ، ولم يُبِحْ لِلمسلمين أن يُسرفوا في تعاطيها ، والانغماس فيها دون قيدٍ ، ولا حدٍّ.

فعندما حرَّم على أتباعه بعض المحرَّمات ممَّا يندرج في باب الشَّهوة ، عوَّضهم بما يماثِلُها من المُباحات ، والمستحبَّات. فقد حرّم عليهم الزِّنى ، وأحلَّ لهم الزَّواج ، ودعاهم إليه ، وحرَّم عليهم أكل الرِّبا ، وأكل مال اليتيم ، والسَّرقة ، والرِّشوة ، وأحلَّ لهم الكسب المشروع من تجارةٍ ، وصناعةٍ ، وزراعةٍ. . وحرَّم عليهم لحم الخنزير ، وأحلَّ لهم لحوم الأنعام ، وحرَّم عليهم الخمر ، وأحل لهم أنواع الشَّراب. . . وبالجملة فقد حرَّم عليهم الخبائث ، وأحلَّ لهم الطَّيبات.

إنَّ الإسلام لا يقهر النَّفس حرماناً لها من الطَّيبات ، بل يَحظرُ الأمور ؛ الَّتي

تعود على الفرد والأمَّة ، بالشَّرِّ المُستطير ، والضَّرر الظَّاهر والخفيِّ. والإسلام يعترف بالغرائز ، والميول الطَّبيعيَّة ، ويوظِّفها في دائرة المصلحة ، وعمران الأرض. يقول الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وشرع تشريعاتٍ تُصرِّف تلك الشَّهوات في السَّبيل المفيد وتُصعِّدها ، وسنَّ من الأحكام ما ينظِّمها على وجهٍ يستوفي الإنسان حاجتَه من تلك الشَّهوات مع تسخيرها لخدمة الهدف السَّامي من الحياة ، وهو عبادةُ الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه الأحكام تجعل تلك الشَّهوات معينةً على استقامة الحياة النَّظيفة السَّليمة ، وتجنِّب المجتمع الويلات ، والأمراض ، والمخاطر ؛ الَّتي يمكن أن تحصل من وراء التَّنافس عليها.

وَأَوْضَحَ في الوقت ذاته: أنَّ هذه الشَّهوات كلَّها من المتع الزَّائلة ، وأنَّ من ظلم الإنسان لنفسه أن يَقْصُرَ همَّه عليها ، وأن يُسرِف فيها. فقد قال سبحانه بعد أن عدَّد الشَّهوات من النِّساء ، والأولاد ، والأموال ، والمراكب ، والأراضي ، والعقارات ؛ قال: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

لقد أعطاها قيمتها الحقيقيَّة... وقرَّر: أنَّ الجنَّة خيرٌ منها.. الجنَّة التي تحيط بها المكاره خيرٌ من تلك الملذَّات ، والشَّهوات.

وفي الجنَّة الخلود والأزواج المطهَّرة، وأعظم من ذلك كلِّه رضوانُ الله تبارك وتعالى. إنَّ تقرير هذا يجعل المرء المسلم إذا وقع في صراع بين ما يدعوه إلى الجنَّة ، وما يدعوه إلى الاستجابة للشَّهوة ؛ يجعله لا يتردَّد في إيثار الجنَّة.

الجنَّة الَّتي هي هدف كلُّ مسلم.. الجنَّة الَّتي هي سِلْعَةُ الله الغالية.. لا بُدَّ لمن أرادها أن يسعىٰ لها سعياً حثيثاً ، ويُقدِّم لها النَّفس ، والنَّفيس.. وقد قيل:

. . . . . وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ المَهْرُ[1]

وليس كثيراً أن يتحمَّل المسلمُ المكاره مهما عظُمت في سبيل الوصول إلى الجنَّة ، والتمتُّع بذاك النَّعيم المقيم فيها . . . ؛ لأنَّ دخولها هو الفوز الحقيقيُّ كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

قال كلثوم بن عمرٍو العتابيُّ :

وَللهِ فِـي عَـرْضِ السَّمَـواتِ جَنَّـةٌ وَلَكِنَّهـا مَحْفُـوفَـةٌ بِـالْمَكَـارِهِ[2]

[الجنَّة تلك الأمنيَّةُ الغالية ؛ الَّتي يسعى لها السَّاعون من المؤمنين على مرِّ العصور . . . الجنَّة الَّتي كانت في قلوب السَّلف الصَّالح ، وأعصابهم شُعْلةً تحرِّكهم لضرب أعلى أمثلة البطولة في الجهاد . الجنَّة تلك الغايةُ الكريمةُ ؛ الَّتي ترنو إليها العيون الحالمة ، وتهفو إليها الأرواح المَشُوقَةُ في كلِّ زمانٍ ، ومكانٍ . . . يستعذبون العذاب مِنْ أجل الحصول عليها .

إنَّها أعظم مرغوبٍ عند المؤمن ، ودخولُها والانتهاء إليها أملٌ يتراءى له في رحلة العمر ؛ التي تستغرق حياتَه كلَّها .

وما أكثر ما كانت الجنَّةُ حافزاً إلى الخير ، والحقِّ ، مهما كان في الطَّريق إليها من المخاطر ، والعقبات ، والأشواك ، بل لو كان فيها الموت المحقَّق . كان هذا في أيَّام النَّبيِّ ﷺ ، كما أخبر أنسٌ ـ رضي الله عنه ـ قال :

انطلق رسولُ الله ﷺ وأصحابه حتَّى سبقوا المشركين إلى بدرٍ ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يقدمنَّ أحدٌ منكم إلى شيءٍ حتَّى أكون أنا دونه» .

فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السَّموات ، والأرض» .

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (١٦٥) طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٢) نهاية الأرب ٣/ ٨٦ .

قال عُمَيْرُ بن الحُمام الأنصاريُّ: يا رسول الله! جنَّةٌ عرضُها السَّمواتُ، والأرض؟

قال ﷺ: «نعم». قال عُمَيْرٌ: بخٍ، بخٍ!

فقال رسول الله: «ما يحملك على قولك: بخ بخ؟!».

قال: لا والله يا رسول الله! إلا رجاءَ أن أكون مِنْ أهلها.

قال ﷺ: «فإنَّك مِنْ أهلها».

فأخرج تمراتٍ من قَرَنه (وهو جعبة النَّشَّاب) فجعل يأكل منهنَّ، ثمَّ قال: لئن أنا حييتُ حتَّى آكل تمراتي هذه، إنَّها لحياةٌ طويلةٌ. فرمىٰ بما كان معه من التَّمر، ثمَّ قاتلهم حتَّى قُتِل[1].

وكان مثلُ هذا الموقف أيضاً في الأيَّام مِنْ بعده، فلقد قال أبو موسىٰ الأشعريُّ وهو بحضرة العدوِّ: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أبواب الجنَّة تحت ظلال السُّيوف».

فقام رجلٌ رثُّ الهيئة، فقال: يا أبا موسىٰ! أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السَّلام، ثمَّ كسر جَفْنَ سيفه، فألقاه، ثمَّ مشىٰ بسيفه إلى العدوِّ، فضرب به حتَّى قُتل][2] [انظر صحيح مسلمٍ ٦/ ٤٥ برقم ١٩٠٢].

ووِجْدانُ المُسلم الحيِّ عندما يتصوَّر هول النَّار، وفظاعتَها، وما يلقاه فيها داخلها تصغر في عينه اللَّذائذ، والشَّهوات. يقول الإمام الغزاليُّ:

[دارٌ ضيقةُ الأرجاء، مظلمةُ المسالك، مبهمةُ المهالك، يخلد فيها الأسير، ويُوقد فيها السَّعير، شرابُهم فيها الحميم، ومستقرُّهم الجحيم، الزَّبانية تقمعُهم، والهاوية تجمعُهم، أمانيهم فيها الهلاكُ، وما لهم منها

---

(١) انظر صحيح مسلمٍ برقم ١٩٠١ وفي طبعة إستانبول ٦/ ٤٤.

(٢) انظر التَّصوير الفنِّي في الحديث النَّبويِّ ص ٥٢.

فكاكٌ ، قد شُدَّت أقدامهم إلى النَّواصي ، واسودَّت وجوهُهم من ظلمة المعاصي ، يُنَادُون من أكنافها ، ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك! قد حقَّ علينا الوعيد ، يا مالك! قد أثقلنا الحديد ، . . . بل يكبُّون على وجوههم مغلولين ، النَّار مِنْ فوقهم ، والنَّار مِنْ تحتهم ، والنَّار عن أيمانهم ، والنَّار عن شمائلهم ، فهم غرقىٰ في النَّار ، طعامُهم نارٌ ، وشرابُهم نارٌ ، ولباسهم نارٌ ، ومهادُهم نارٌ][1] .

والحديث كلُّه صورةٌ بيانيَّةٌ موفَّقةٌ ، تُبيِّن طريق الجنَّة ، وطريق النَّار ، وفي ذلك تحذيرٌ ، وأيُّ تحذيرٍ ، فبعد المكاره ، والعقبات جنَّاتٌ تجري مِنْ تحتها الأنهار .

وبعد الشَّهوات والملذَّات نارٌ حامية .

والحديث يدلُّ على خاصَّةٍ تميَّز بها الحديث النَّبويُّ ، وهي خاصَّة الموسيقا العذبة الجميلة ، فإذا ردَّدت هذا الحديث ؛ أحسَسْت بروعة الإيقاع ، وتذوُّق تلك الحَلاوة ؛ الَّتي تحسُّ بها مِنْ ذاك التَّرديد .

* * *

(١) الإحياء ٤/ ٥١٤ .